نظام الجملة في اللغات السامية

د. عدي حسين علي(*)

مدخل

اتجهت الدراسات اللغوية المقارنة إلى توصيف جملة من المقاربات الصوتية والصرفية والدلالية، ونأت قليلاً عن الجانب التركيبي باعتباره منحًى يتصف بالصعوبة مقارنةً بالمستويات اللغوية الأخرى، فالتركيب جانب تطبيقي يعتمد اعتماداً رئيسيًّا على الترجمة الحرفية للغات الأخرى، فضلاً عن الدراية المثلى بقواعد اللغات المتآخية، ولاسيما الأرومة اللغوية الواحدة، فكانت محاولات الباحثين تتسم بالقلة واليسر، ويمكن وصفها بالشحيحة إذا ما قيست بمستوى الدراسات الأخرى، وهذه إحدى المحاولات التي ارتأت أن تستجمع بعض الشذرات، إذ قام المختصون بالمنهج المقارن أن يقفوا على جملة من المواطن التي جمعت الاختلاف والائتلاف بين أخوات العربية. ومع أن هذه الوقفات لم تستوف جوانب النظام التركيبي، فإنها جديرة بالذكر؛ لكونها الروافد الرئيسة في الدرس النحوي المقارن.

تُعد الجملةُ المثالَ المنطقي المجرد للجانب التركيبي ضمن المستوى النحوي، باعتبارها أصغر وحدة إسنادية، ولاسيما الجملة الاسمية والجملة الفعلية، فهذان المصطلحان يمثلان النظام التطبيقي النحوي، ويعدان نقطة

(*) كلية التربية – الجامعة المستنصرية – العراق.

الولوج إلى العلاقات الإسنادية الأخرى، إذ حوى البحث على هـذين المفهـومين وعلاقة العربية بأخواتها من اللغات ضمن هذا الإطار، ومـدى التجـاذب والتنـافر بين التراكيب المختلفة، فضلاً عن التأصيلات والتأثيرات بين لغة وأخرى.

الجملة الاسمية:

تعد الجملة الاسمية مظهراً نحويًّا بارزاً في اللغات السـامية(*)، فهـي بطبيعـة حالها لها ميزات وخصائص كثيرة، إذ تتفق الجملة العربية مع أخواتها فـي مـواطن كثيرة، وبالمقابل هناك اختلافات وتقاطعات سيوضح البحث بعضاً منها.

المعلوم أن الجملة الاسمية أخذت في تعريفهـا اتجاهـات مختلفـة مـن حيث شكلها ودلالتها، وسـتتبين دلالتُهـا وأقسـامُها فـي السـطور الآتيـة مـن البحث، فالجملة الاسمية فـي اللغـات السـامية هـي التـي تقـوم علـى ركنـي الإسناد: المسـند إليـه والمسـند، وإنّ القاعـدة النحويـة العربيـة قـد وضـعت شكلاً عامـاً للمبتـدأ والخبـر، وهـو قاعـدة أن يكـون المبتـدأ معرفـة والخبـر نكرة(١)، ويتضح أن اللغة الأكادية كانت مجردة مـن أداة التعريـف، إذ كانـت تحتوي الكلمة على التمييـم الـذي يقابـل التنـوين فـي العربيـة، فسـواء كـان الاسم الأكـادي معرّفـاً أو غيـر معـرّف فلـيس فيـه هـذه الأداة(٢)، إلا أن أداة التعريف قـد اسـتعملتها أخـوات الأكاديـة مـن اللغـات، ففـي العربيـة (أل)، والعبريـة (ha) وتقـع فـي بدايـة الكلمـة، والآراميـة (ha) وتقـع فـي نهايـة الكلمة(٣)، وفي السبئية (أم)(٤)، وفي الحضرمية (هـ ن)، والنون فـي لهجـات

(*) يفضل استعمال اللغات الجزيرية أو العروبية القديمة [المجلة].

(١) ينظر: المقتضب: ٤/ ١٢٦.

(٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٦٢.

(٣) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٦٢.

عربية الجنوب[٥]، وباستعمالها وعدمه فإنّ الجملة في اللغات السامية قد وردت في صيغ مختلفة من تعريف وتنكير وتقديم وتأخير وما يتعلق بهذا.

فالجملة الاسمية الأكادية تتميز بوجود ضمير منفصل، أو بوجود (ma) الرابطة، مثل:Add-sarramma ، أي: حَدَدْ ملكٌ، وهذه (ma) لها وظيفة العطف والتوكيد والاستدراك بحسب السياق الذي ترد فيه[٦]، ولعل هذا الإلحاق في أواخر الكلمة يحتاج إلى ما يرتبط به أو يستدرك عليه، إلّا أنّ فوزي رشيد لم يشر إلى ذلك، بل أورد الجملة الاسمية الأكادية بلا رابط، وإن الرابط (ma) المذكور غير موجود ضمن روابط الجمل عنده[٧]، بخلاف عامر سليمان الذي ذكر هذا الرابط مع أداتين أخريين هما: uš و lū، مثل: tu kulāni lūatta وتعني: أنت أملنا، وكذلك: Madadum radet warkātišu وتعني: مدادم وريث التركة[٨].

إن أغلب الدراسات لم تذكر وظيفة الرابط (ma) بالتحديد، ولم تشر إلى مقارناته ولاسيّما في العربية، إلّا أنّ سحر عقّاد استطاعت أن تجد امتداداً لـ(ma) هذه في العربية، فقد عدّت (ما) الكافّة(*) امتداداً لها على اعتبار أنها رابطة لجملتين لا ترتبطان إلّا بها، ذلك عند دخولها على الأفعال (قلّ، وطال)[٩]، فتقول: قَلَّمَا ذهبْتُ إليه، وطالَمَا رأيتُكَ، ولا يجوز قولك: قَلَّ ذهبْتُ، أو طالَ رأيتُكَ، وهذا رأيٌ فيه سداد.

---

(٤) ينظر: ملامح في فقه اللهجات العربيات: ٣٤٥.

(٥) ينظر: قواعد العربية الجنوبية: ٥٨.

(٦) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٥.

(٧) ينظر: قواعد اللغة الأكدية: ٦٩ –٦٠.

(٨) ينظر: اللغة الأكدية البابلية الآشورية: ٣١٨.

(*) هذه (ما) المصدرية. أما (ما) الكافّة فهي المداخلة على حرف مشبه بالفعل. [المجلة].

(٩) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥٣.

إن ما ذُكر يناظر تقريباً العربية في تكوينها، ولكنّنا لو قارنّا جملاً بين الأكادية والعربية فسوف نجد اختلافاً بين بعضها وبعض في نمط التركيب، فعلى سبيل المثال الجملة الأكادية التي تقول: ul ummi atti، وتعني: أنتِ لَستِ أمي[١٠]، فالمقطع (ul) بالأكادية يعني بالعربية (لا)[١١]، وبذلك تكون الترجمة الحرفية للجملة الأكادية السابقة: لا أمّي أنت، وهذا التركيب لا يوافق العربية، حتى وإن حصل تقديم أو تأخير في الجملة الأكادية.

ولا يردُ في الأكادية الخبرُ شبهَ جملةٍ أو يُكتفى به كما في العربية والعبرية وغيرها، مثل: ina matim sarraku وتعني: أنا الملك في البلاد، أي: أنا موجود في البلاد[١٢]، وتنفرد اللغة الأكادية عن باقي أخواتها بأنّ خبرها لا يأتي جملة فعلية[١٣]، وهذا النظام تتبع به النظام السومري في التركيب[١٤].

أما الجملة الاسمية الآرامية فإنّها لا تختلف كثيراً عن نظام الجملة العربية من حيث الترتيب والتقديم والتأخير والأنظمة التي عهدتها، ولاسيّما الإخبار بالجملة الفعلية، يقال: النفسُ البسيطةُ تسجدُ: ıLs·l ü¥Qs[١٥]، وبذلك تتفق الآرامية مع العربية وتختلف مع الأكادية مع قرابتها منها، ولم تصف القواعد الآرامية أن المبتدأ النكرة لا يجوز الابتداء به إلا بشروط كما في العربية[١٦]،

(١٠) ينظر: اللغة الأكدية البابلية الآشورية: ٣١٩.

(١١) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ٨٥.

(١٢) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ١٨.

(١٣) ينظر: قواعد اللغة الأكدية: ٦، ولغة نقوش الممالك الآرامية (رسالة ماجستير): ٢١٧.

(١٤) ينظر: قواعد اللغة السومرية: ٥٧.

(١٥) ينظر: الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية: ٢٢، ولغة نقوش الممالك الآرامية (رسالة ماجستير): ٢١٧.

(١٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ١/ ٢١٥.

يقال: غلامٌ كان يرعى جمالاً وحميراً: £mxv LmÃ، o¼L½ EX@T[١٧]، ويزعم محمد محفّل أنّ هناك تركيباً خاصًّا بالسريانية الآرامية، أي غير موجود في سائر أخواتها، وهو دمج اسم الاستفهام الخبر المقدم بالمبتدأ الضمير مع حذف أحد حروف الضمير، فيقال: مَنو، التي أصلها: مَن هو[١٨]، وهذا التركيب موجود في العربية وقد اصطلح عليه سيبويه (باب من إذا كنت مستفهماً عن نكرة)[١٩]، وأظن أنّ الحذف هنا قد حصل لابتعاد الضمير عن شكله التعريفي، وهذا التركيب (من هو) يستعمل عادةً في الاستفهام عن معهود، إذ يقال: هناك رجلٌ قد فعل كذا وكذا، فتسأل: من هو؟ وبهذا يكون الضمير (هو) يعود على معهود، ولكنّك إن سمعت الباب يُطْرق، أو وجدت أرضك قد عُبِث بزرعها فإنك ستستعمل: منو؟ بلا عهد أو عودة، وهذا يجعل الضمير المرخّم يتصف بالإنكار دون الرجوع إلى قواعد الاسم النكرة.

ولا تختلف الآرامية التدمرية عن سائر أخواتها في تغيير النظام التركيبي للجملة الاسمية[٢٠]، وكذلك في آرامية الحضر[٢١]، ومن ذلك أن هناك جملة اسمية في آرامية الحضر تختلف في تركيبها عن العربية، وهي جملة: سنطروق ملكا[٢٢]، وتعني: سنطروق الملك، وهذه الألف في آخر الكلمة هي أداة التعريف كالألف واللام في العربية[٢٣]، وفي هذه الحال يحسنُ الفصل بين

(١٧) ينظر: غرامطيق اللغة الآرامية والسريانية: ٣٢٦.
(١٨) المدخل إلى اللغة الآرامية: ١٠٦، والسريانية العربية الجذور والامتداد: ٨٦.
(١٩) ينظر: الكتاب: ٤/ ٤٠٩.
(٢٠) ينظر: مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية: ٦٤.
(٢١) ينظر: آرامية الحضر: ٨٤.
(٢٢) ينظر: آرامية الحضر: ٨٥.
(٢٣) ينظر: آرامية الحضر: ٦٥.

هذين اللفظين (سنطروق، والملك) في العربية بضمير الفصل، على اعتبار أنّ المبتدأ والخبر معرفتان[٢٤]، فيقال: سنطروق هو الملك، ولم تأتِ الآرامية بهذا التركيب، ومن جانب آخر تميل الحضرية في بناء الجملة الاسمية إلى حذف المبتدأ، أو الابتداء بالخبر، فضلاً عن استعمالها للمشتق ومعموله، مثل: مبارك عجا بن عبسا أمام جنده ومذكور بالخير والحسنى[٢٥].

أما اللغة السريانية وهي آرامية العصر المسيحي[٢٦]، فليس هناك اختلافات جوهرية في نظام تركيب الجملة الاسمية بينها وبين العربية، وممّا ورد مختلفاً عن النظام العربي، قول السريان: أفرام أكوت نبيا، وتعني: أفرام كالنبيّ، ولقد نعلم أنّ هذه الكاف عند العرب للتشبيه، وهي (أكْ) بمعنى الأخ في السريانية، فجملة: أفرام أكوت نبيا، تعني: أفرام أخو النبيّ[٢٧]، وبذلك تكون السريانية قد افتقرت لأداة التشبيه (الكاف) واستعملت تركيباً مكوناً من مبتدأ وخبر، وقيل أيضاً: آخ عيني عبدي عينين لوشخ، وتعني: كأعين العبيد أعيُننا إليك[٢٨].

إن اللغة السريانية لا تخلو من حالات التقديم والتأخير في المبتدأ والخبر، وتشبه أحكامها في ذلك بعض الأحكام العربية، إلّا أنّ النحاة السريان قد أنكروا وجود ما يسمى (الخبر جملة فعلية)، فهم يعدون المتقدم هنا وهو الاسم المتصدر للجملة فاعلاً للفعل المذكور بعده[٢٩]، وربما يكون هذا الأمر مقبولاً

(٢٤) ينظر: المفصل في صنعة الإعراب: ١٦٨.

(٢٥) ينظر: بناء الجملة الاسمية في كتابات الحضر: ٤٦٨-٤٧١.

(٢٦) ينظر: السريانية نحوها وصرفها: ٩.

(٢٧) ينظر: موسوعة حلب المقارنة: ٢٨٩.

(٢٨) ينظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ١٠٤.

(٢٩) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٦، و النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ١٠٠.

بالنسبة إلى اللغة السريانية التي لا تحمل كثرة التراكيب والتفرّعات التي في اللغة العربية، ولاسيّما في مسألة التقديم والتأخير، وقد أجاز الأبّاتي جبرائيل القرداحي ذلك، إذ ذكر أن جملة: فلان يأكل ويشرب: ܗܘ ܡܟܠ ܘܡܫܬ هي جملة اسمية، وأنّ هذا الاسم المذكور هو مبتدأ وليس فاعلاً مقدَّماً[٣٠].

أمّا في اللغة العبرية فتمتاز الجملة الاسمية بأنّها لا تستعمل الفعل إلا إذا أرادت تغيير زمن الجملة[٣١]، وهذا ما تخالف فيه السريانية وتتوافق به مع العربية فيقال: أنا قادني يهوا إلى الطريق: **אֲנִי בַדֶּרֶךְ נָחַנִי יְהוָה**، وممّا تختلف فيه العبرية عن السريانية وتتفق مع العربية وجود ضمير الفصل بين المبتدأ والخبر، يقال: الدم هو الحياة **הַדָּם הוּא הַ֝נָּפֶשׁ**[٣٢]، وضمير الفصل هذا هو ضمير رابط، فالجملة الاسمية البسيطة تتكون من مبتدأ وخبر، وهذا التركيب هو أقدم تركيب في اللغات جميعاً، ولكن تختلف الجملة الاسمية السامية عن الهندوأوربية بأنّ الأخيرة تحتوي على فعل مساعد بين الاسمين داخل الجملة، وهذا ما فُسّر بتأثر العبرية بهذا النمط في أثناء وجود ضمير فصل أو فعل كينونة (فعل ناقص) بين المبتدأ والخبر[٣٣]، فقد يفسر وجوده في اللغة العربية حداثة عهدها، وبعض اللغات المتأخرة زمنيًّا، وربّما العكس.

إنّ اللغة العبرية قد شابهت العربية في احتوائها حرفَ التشبيه (الكاف)، فيقال: هو كمثلك[٣٤]، خلافاً للسريانية التي افتقرت لهذا التركيب، وقد

(٣٠) ينظر: المناهج في النحو والمعاني عند السريان: ٥ -١٢.
(٣١) ينظر: عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية: ٢٣٥.
(٣٢) ينظر: عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية:٢١٤.
(٣٣) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٥.
(٣٤) ينظر: الكنز الثمين في قواعد اللغة العبرية: ٢/ ٧١.

أشار محمد توفيق الصوّاف إلى أن لفظة (مثل) تأتي للنيابة عن كاف التشبيه التي لا تستطيع أن تدخل على الضمير، ولم يجمع بين (الكاف) و(مثل) في تمثيلاته[٣٥]، بيد أن هذا التركيب قد ورد في العربية بدليل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

إن استعمال الحرف كنايةً عن الألفاظ أسلوب حديث ومتطور في اللغات ونشأتها، وهذا ما يوضّح تعدّد الأساليب وتنوعها في اللغة العربية، ففي أثناء قراءتي للتراكيب المقارنة لم أجد بعض الجمل الاسمية التي تستعملها اللغة العربية، كإتيان الحال عوضاً عن الخبر مثل: ضربي العبدَ مسيئاً، ومحمدٌ نبياً، والمسيحُ قدّيساً، حتى إن بعض الترجمات لم تكن دقيقة، فقد ترجمت الجملة الحظرية[*]: ش م ش ب ر ك، ب ي ت

و ح ط ر ي ت، ق ش ي ش، و د ر د ي ق

و ع ر ب ي ت، ك ل ه و ن....

بالترجمة الآتية:

شمشبرك الكبير والحظريون شيوخاً وشباناً والعرب كلهم...[٣٦]

فترجمة (شيوخاً وشباناً) ليست بهذا الشكل بل يجب أن تكون: الشيوخ والشبان والعرب كلهم، على أن الألف الممالة هذه هي أداة التعريف وليست للنصب.

واللغة الكنعانية أيضاً لم يلحظ لها تغيير في تركيب الجملة الاسمية، فهي على غرار أخواتها السابقات، وهذا الحال ينطبق أيضاً على الفينيقية

(٣٥) ينظر: اللغة العبرية: ١٧٨.

(*) رسم حرف الظاء على شكلين (ظ، وض)، في هذه الكلمة، والمعلوم أنها قلبت بعد التعريب من الدال إلى هذين الحرفين.

(٣٦) ينظر: أوزان الفعل وصيغه في الحضرية: ٨٢.

والأوغاريتية، وهما لهجتان من لهجات الكنعانية[٣٧]، فالكنعانية ولهجاتها ذات نظام واحد في الجملة الاسمية، وهو تكوّنها من مبتدأ وخبر وتنوعهما، مع عدّ الجملة التي خبرها جملة فعلية هي جملة اسمية[٣٨]، إلّا أنّ هناك تركيباً انفردت به اللغة الأوغاريتية، وهو مجيء المبتدأ ضميراً منفصلاً للمثنى المتكلم، وهذا ما لا يوجد في سائر أخواتها من اللغات، فيقال: ny tnm، وتعني: إنّا، أو إنّنا، أو نحن اثنان[٣٩]، وفي هذه الجمل الثلاث لا يوجد الضمير المثنى، وربما كانت العربية قد استعملته واندثر، ولأنّ الغائب والمخاطب للضمير المثنى موجود، فأظنّ أن استعمال الضمير (نا) منفرداً كان موجوداً، لكنّ تركيبه مع (إنّ) قد غلب على الاستعمال القديم، وعندما أحسّ العربي أنّهما تركيب واحد استغنى عن أحدهما.

وأمّا اللغة الحبشية فلا شكّ أنّها تختلف عن أخواتها في بعض التراكيب، وأنّها تشترك معها في الخصائص والمميزات[٤٠]، فمن حيث الاختلاف حوت الحبشية بعض الاختلاف في الجملة الاسمية، إذ ورد فيها ما يسمى بـ(ضمير الصلة المستقل)، وهو ضمير متعلق بالخبر يعود على المبتدأ، يقال: أنا من شعب منسع أنا: ::áî:mn:GBl:MnLŸ:áî، ويقال أيضاً: شعب أرتريا من قديم شجاع هو: :vÝB:A±rt°ù:mn:Bä¿Ò:èurT'[٤١]، وهذا الضمير الظاهر يشبه ضمير العربية المستتر في قولنا: هو واقفٌ، أي: هو واقفٌ **هو**، بعودة الضمير الثاني على الأول.

(٣٧) ينظر: اللغة الكنعانية: ٢٨.

(٣٨) ينظر: مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية: ٣٤، واللغة الفينيقية البونيّة (أطروحة دكتوراه): ١١٥.

(٣٩) ينظر: دراسة لغوية مقارنة بين العربية والأوغاريتية (رسالة ماجستير): ٣٨.

(٤٠) ينظر: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان: ٦٤.

(٤١) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأرترية: ٥٠٢.

ولـم تخـلُ الحبشـية مـن مظـاهر التقـديم والتـأخير والحـذف والـذكر، ولكنّها بحدود اشتراكها مع أخواتها، وقد اختلفت في إحـدى الجمـل، فقـد جيء بالصفة قبل الموصوف في بعض الجمـل الحبشـية، ومـن ذلـك يقـال: 'g:îH±:tæqä:Ìî:mgâòtAamr:KM AmìK÷¿t:، وترجمتها: الإلهيـة إنّ الشـريعة قد قصدت صلاح الأمـور، أي: إنّ الشـريعة الإلهيـة...[٤٢]، فتقـدم الوصـف على الموصوف، وهذا ما نستعمله الآن في قولنـا: مـع جزيـل الشـكر، ومـع شديد الأسف، وغيرها.

أما اللغة المندائية فكان البحث فيها صعباً؛ لأنّ الدراسات اللغوية المقارنـة لم تولِها اهتماماً كباقي أخواتها مـن اللغـات، وهـذا الأمـر ينطبـق علـى العربيـة الجنوبية أيضاً، إلّا أنني قرأت بعض النصـوص المندائيـة، وقـد اتّضـح لـي أنّهـا تستعمل فعلاً مساعداً داخل الجملة الاسـمية، فقـد ورد فـي الصـلوات قـولهم: مارَيْهون إد كلمون آلمي مشْبَتْ، وتعني: إله كـل العـالم سـبحانه[٤٣]، وكـذلك: بسيمهون إد هيي ربي، وتعني: بأسماء الحي العظيم[٤٤]، إذ يتضح أن (إد) تعنـي الكون بوصفها فعلاً مساعداً في الجملة، كما في (كان) الزائدة في العربية.

إنّ استعمال الجملة الاسمية في تلك اللغـات أعطـى ملامـح عامـة فـي اشتراكها في أسلوب تكوينها، فكان أساس الجملـة طرفـي التركيـب المبتـدأ والخبر، وما تخللهما من إلحاق وحذف وتقدير، مع تباين يسير بـين تركيـب وآخر، ولكـن يتضـح لـي أنّ متعلقـات الجملـة الاسـمية التـي حوتهـا اللغـة العربية قليلة أو معدومة في أخواتهـا مـن اللغـات، وأهمّهـا النواسـخ، إذ لـم

(٤٢) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغة الأرترية: ٤٧٠.

(٤٣) ينظر: الصابئة المندائيون: ٢٥٩.

(٤٤) الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية: ٢٨.

ألحظ في الدراسات المقارنة وجوداً لتركيب فيه (ما انفكّ) أو (ما فتئ) أو (اخلولق) أو (حجا) وغيرها لا مفردةً ولا تركيباً، فضلاً عن أنّ المعروف منها والمشترك بينها قد استُعمل استعمالاً مختلفاً، كما في (كان) التي لم ترد إلّا فعلاً مساعداً، وكذلك (إنّ) التي وردت في العبرية (هنَّه) **הִנֵּה**، ومعناها: بالتأكيد أو حقًّا أو نعم[٤٥]، وهذا ما يشابه توجيه بعض النحاة في قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾ [طه: ٦٣]، أي: نعم هذان لساحران، ومن شواهدها قول أحدهم: لعن اللهُ ناقةً حملتني إليك، فأجابه الآخر: إنَّ وراكبَها، أي: نعم ولعنَ راكبَها[٤٦]، وبهذا تختلف هذه الأداة في أسلوب التركيب بين اللغتين وتختصّ بوظيفة وإعراب مختلف بعض الشيء، وهذا التفرّد والزيادة في الأدوات يجعل للعربية مزيةً على أخواتها من اللغات، لما تمتلك من تراكيب قديمة وحديثة، فيجعلها زاخرةً بأنواع التراكيب وأشكالها، فالفينيقية لا تمتلك من روابط الجمل إلّا العطف في حين تتمتع العربية بحروف العطف والحروف المشبهة بالفعل والنواصب والجوازم وواو الحال وحروف النفي والنهي[٤٧]، فهذا الاتساع الزماني والمكاني للنظام التركيبي الذي تختص به العربية يجعلها محوراً بين أخواتها من اللغات في القياس والتطبيق، فعلى الرغم من وجود تراكيب غير مستعملة في العربية فإنها امتلكت عدداً كبيراً منها تفتقر إليه تلك اللغات، وهذا دليل على أنّ العربية قد امتلكت هذه التراكيب واندثرت تاريخيًّا، وربما كانت موجودة ولم يدوّنها أوائل النحويين.

(٤٥) ينظر: بحوث في الاستشراق واللغة: ٢٣.

(٤٦) ينظر: الجنى الداني: ٣٩٨-٣٩٩.

(٤٧) ينظر: اللغة الفينيقية البونية (أطروحة دكتوراه): ١١٤ -١١٥.

الجملة الفعلية

تتصف الجملة الفعلية بأشكال انبثقت من بين المفاهيم المختلفة لدى النحويين المهتمّين بمفهوم الجملة بوجهٍ عام، فقد اتجهت جهود الدارسين إلى هذا المفهوم على وفق قواعد دلالية وتركيبية، فنتج الخلاف حول النظام الرُّتبي داخل الجملة من حيث ابتداؤها بالفعل أو الاسم، فلا شكّ أنّ الجملة المصدّرة بالفعل قد اتُفق على فعليتها، أمّا الخلاف فيكمن في الوجه الذي تتصدر فيه الجملة بالمسند إليه، بوصفه مبتدأً أو فاعلاً مقدّماً، وهذا الأمر يعتمد على الصفة الدلالية أكثر من التركيبية، ويبدو لي أن الجملة المتصدرة بالمسند إليه هي جملة اسمية، لذا سأسلط الضوء على الجملة المتصدرة بالفعل، والتي لا خلاف في فعليتها، إلّا في الأكادية التي يختلف نظامها التركيبي عن سائر أخواتها من اللغات.

إنّ الجملة الفعلية الأكادية لا يمكن أن توصف بأوصاف العربية، وقد أكّد الدارسون أن الفعل في الجملة الأكادية لا يأتي في بداية الكلام، وإنما يأتي متأخراً(٤٨)؛ والسبب في ذلك يعود إلى تأثّر الأكادية بالسومرية التي لا تبدأ بفعل(٤٩)، والمعلوم أن هذا النظام من الجمل تمتاز به اللغة الإنجليزية، ولاسيّما أن اللغة السومرية لها صفات كثيرة تشترك بها مع اللغات الأوربية(٥٠)، وبما أنّ السومريين قد سكنوا تل العبيد وما حوله من المدن فقد امتزجوا مع سكان هذه المناطق، وأن الأكاديين قد انحدروا منهم، وألفا سنة أو تزيد وقت كافٍ لأن تنصهر لغتا القومين، فتتكوّن اللغة الأكادية التي

(٤٨) ينظر: قواعد اللغة الأكدية: ٦٠، واللغة الأكدية البابلية الآشورية: ٣٢٠، وملامح من فقه اللهجات العربيات: ٣٢٥.

(٤٩) ينظر: قواعد اللغة السومرية: ٥٦، وقواعد اللغة الأكدية: ٦٠.

(٥٠) ينظر: طوفان نوح الاكتشافات العلمية الحديثة: ٢٦٧.

احتوت على نظام تركيبي يعود إلى السومريين، فضلاً عن مفردات وتسميات استعملها السكان الأصليون.

ومن أمثلة الجملة الفعلية الأكادية: Märum šü ina gätmušën iatim imtüt

وتعني: مات هذا الطفل في أيدي المرضعة[٥١]، وكذلك الجملة:

Aträm Ḫasïs ilaëa tër tam

وتعني: تلقّى أترام خاسيس هذه الأوامر[٥٢]، والملاحظ أن الجملتين لم تبدأا بالفعل، وكذلك سائر الجمل الأكادية.

ولم يبقَ هذا الأمر على حاله فلهجتا الأكادية (البابلية والآشورية) لم تتمسكا بهذا النظام، إذ تشير الألواح المترجمة إلى أنّ البابلية والآشورية قد استعملت جملاً تتصدر بفعل، ومن ذلك الرسائل الدبلوماسية للملك البابلي حمورابي المبعوثة إلى حلب ومدينة ماري، فقد جاء في الفقرة الخامسة والعشرين ما نصّه:

ül iṣïdü šeum ina mat، وترجمتها: لم يحصد الشعير في البلاد...[٥٣]، وهذا يعني أن اللغة الأكادية قد بدأت تأخذ الطابع الجزري في نظام تركيب الجملة الفعلية، ولعل الأكادية لم تخلُ من تركيبٍ جاء به الفعل في مقدمة الجملة: ibal luṭ وتعني: شرع يتعافى، وهو للدلالة على الشروع في الأمر[٥٤]، أي: بدأ هذا المريض يتعافى، ولم يتقدم هذين الفعلين اسمٌ، وهذا يعني أنّ نظام التقديم والتأخير في الجملة أمر لم يغب عن اللغات السامية جميعها، فهناك تقديم وتأخير غريب جدًّا في إحدى الجمل الأكادية، إذ تقول الترجمة

(٥١) ينظر: اللغة الأكدية البابلية الآشورية: ٣١٩.

(٥٢) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ٨٥، وظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥١.

(٥٣) ينظر: مقدمة في علم الأكاديات: ١٠١.

(٥٤) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٢.

الحرفية للجملة: صلوات نبوخذنصّر ملك بابل سَمِعَ، وتعني: سمع ملك بابل صلوات نبوخذنصّر(٥٥)، وأرى أن هذا التركيب لا يشبه تركيب العربية، فربما يوجد في لهجتي الأكادية (البابلية والآشورية)، ولكنّه لا علاقة له بالعربية.

أما الآرامية فقد جاءت على نمطين: يتقدم الفعل ويتأخر، وهي بذلك تتبع النظام العربي في تكوين الجملة الفعلية(٥٦)، مع تبني بعض المختصّين رأياً يرون فيه أنّ الفاعل لا يتقدم على الفعل(٥٧)، فإن تأخّر الفعل فالجملة اسمية، إضافة إلى تعدد الفعل أو الفاعل أو كليهما(٥٨)، وهذا الحال يتطابق أيضاً مع الفعل المبني للمجهول(٥٩).

إن ترجمة النصوص قد جعلت الباحث في حيرة كبيرة، فقد وردت جملة: دانيال إلو بيته ذهب، في الكتاب المقدس، وترجمتها في الكتاب المقدس: ذهب دانيال إلى بيته(٦٠)، وفي الواقع لم ترد الجملة في النص الآرامي على نحو الترجمة الموجودة، الذي نصه: **דְּנִיֵּאל לְבַיְתֵהּ אֱזַל**(٦١)، وهذا الأمر يُشكل على الدارس المختصّ بالنحو المقارن، كما أنه لا يستطيع أن يجد مواطن التشابه والاختلاف بين جملة التراكيب، فلو أنها ترجمت حرفيًّا لتمكنَّا من أن نجد كثيراً من هذه الاختلافات والوقوف على متعلقاتها، فقد جاء في نبوءة دانيال:.... فأخبرني وأعلمني بتعبير الكلام، وهو أن هذه الحيوانات

(٥٥) ينظر: الواقع اللغوي العربي القديم: ١٩.

(٥٦) ينظر: آرامية العهد القديم: ١٣٥ - ١٣٦.

(٥٧) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٤٩.

(٥٨) ينظر: مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية: ٩٣.

(٥٩) ينظر: آرامية الحضر: ١٢١.

(٦٠) الكتاب المقدّس (العهد القديم)/ نبوءة دانيال الفصل الثاني/ الجزء السابع عشر: ٦٢٥.

(٦١) ينظر: آرامية العهد القديم: ١٣٥.

الأربعة العظيمة هي أربعة ملوك يقومون من الأرض[٦٢]، والترجمة الحرفية للنص الآرامي هي: هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة....[٦٣]، وفي الواقع هذا تركيب لا يتوافق مع العربية باستخدام اسم الإشارة (هؤلاء) مع غير العاقل، وكذلك في تتبعي لبعض التراكيب وجدت جملة تقول: زارني رجلٌ لا يوسف، ܗܕܐ ܓܒܪܐ ܠܐ ܝܘܣܦ[٦٤]، وهذا التركيب غير مقبول في العربية، وأظن أن (لا) قد نابت مناب (غير)، أو (ليس)، أو تكرار الفعل منفيًّا، ولا تأتي (ليس) في هذا التركيب، إذ إنّها لدى الآراميين اسم فعل مكون من (لا + أيس) وخبرها يأتي مقروناً بالباء يقال: أخوك ليس بشاعر، ʾaxuk layšā bšāʿer[٦٥].

خلاصة القول: إنّ الدراسة النحوية المقارنة تحتاج إلى ترجمة حرفية من الدارسين لتتبع مواطن الاختلاف والتشابه في عناصر التركيب، والمعلوم أن المتخصص في النحو المقارن يستحيل عليه المعرفة بمجموع هذه اللغات، ولاسيّما المنقرض منها كي يميز بين التراكيب المختلفة، لذا من الضرورة أن يوضع تحت النص المكتوب بأي لغة غير عربية ترجمة حرفية لهذا النص، كي يتسنى للقارئ فهمه جيداً ودراسته دراسةً صحيحة.

أمّا السريانية، وهي لهجة آرامية، فالدراسات التي تناولت الجملة الفعلية السريانية فيها لم تُشر إلى ما يتقاطع أو يختلف عن أخواتها من اللغات[٦٦]، وهذا في الواقع ليس صحيحاً، فعن طريق تقصي بعض الجمل

(٦٢) الكتاب المقدّس (العهد الجديد) نبوءة دانيال الفصل السابع/ الجزء السادس عشر: ٦٦٨.
(٦٣) ينظر: المدخل إلى اللغة الآرامية: ٨٣.
(٦٤) ينظر: اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية: ٥.
(٦٥) ينظر: اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية: ٢٢ -٢٣.
(٦٦) ينظر: المناهج في النحو والمعاني عند السريان: ١٩١.

وترجمتها حرفيًّا وجدت ما يشير إلى بعض الاختلافات، فمثلاً إذا ظهر ضمير الغائبين وجب اتصاله بالفعل في العربية(٦٧)، وقد وردت الجملة السريانية ܚܕ ܡܢ فاصلة بين الفعل والضمير وترجمتها: اجعلهما(٦٨)، ومن الجمل التي اختصت بها السريانية أيضاً قولهم: كان شَفِيَ: ܟܕ ܠܥܐ، وقد عبّروا عن (كان) هذه بأنّها فعل مساعد يشبه قول العرب: ما كان أحسنَهُ، وليس ناسخاً مثل: كان زيدٌ قائماً(٦٩)، ويصفها الدكتور المخزومي بأنها تستعمل مع الفعل لتدلّ على صيغة زمنية معيّنة(٧٠).

وقد اتضح لي من بعض الأمثلة أن النحاة السريان لا يعاملون الجملة التي تبدأ باسمٍ، وخبرها جملة فعلية معاملة الجملة الاسمية، فهي لديهم جملة فعلية تقدم فاعلها عليها(٧١)، ومع تبني فكرة أنّه لا يجوز تقديم الفاعل على الفعل في اللغة السريانية(٧٢)، إلّا أنّ الأمثلة في الدراسات النحوية السريانية المقارنة تستعمل هذا التركيب على أنه جملة فعلية ومن هذه الجمل: ܗܢܐ ܡܪܝܡ ܐܣܬ ܠܫܪܐ، وترجمتها: مريم وسارة تحب إحداهما الأخرى، وكذلك الجملة الآتية: ܡܠܦܢܐ ܕܡ ܡܠܦܐ ܟܬܒ ܠܫܪܐ، وترجمتها: المعلم والطالب يحب أحدهما الآخر، وقد وردت هاتان الجملتان تحت عنوان: إذا تقدم فاعلان متعاطفان بالواو، أو بالحرف (ܕܡ، مع) جاء هذا الفعل جمعاً(٧٣)، وبذلك تكون الترجمة الحرفية: مريم وسارة

(٦٧) ينظر: جامع الدروس العربية: ١/ ١٢٠.
(٦٨) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٤.
(٦٩) ينظر: السريانية نحوها وصرفها: ١٣٧.
(٧٠) ينظر: في النحو العربي نقد وتوجيه: ١٨٣.
(٧١) ينظر: اللمعة الشهية في نحو اللغة السريانية: ٤٠٣.
(٧٢) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٤٩.
(٧٣) ينظر: النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية: ١٠٦.

يحبُّ بعضهما بعضاً، والمعلم والطالب يحبُّ بعضهما بعضاً، وهذا الأمر يبتعد قليلاً عن القياس العربي في تكوين الجمل.

أما الجملة الفعلية العبرية فهي تحتاج إلى نوع من التدقيق والمراجعة، فالتطور التاريخي للجملة الفعلية الأكادية يشير إلى أن هناك تغييراً قد حصل فيها من خلال لهجتيها البابلية والآشورية، فكما أسلفت أن هاتين اللهجتين قد ابتدأت جملتهما الفعلية بفعل مع وجود النمط الأكادي القديم، في حين أنّ العبرية لم يتضح لها نمط معين من خلال الدراسات التي تناوَلَتْها، فسيد فرج راشد يذكر أنّ الجملة الفعلية العبرية تتكون من الفاعل ثم الفعل ثم المفعول به[٧٤]، وأن الفعل لا يسبق الفاعل إلّا بشروط هي:

١- أن يسبق الفعل بظرف زمان أو مكان: **כַּאֲשֶׁר** **בְּנַט חַמְלָה** عندما يدخل الملك، **שָׁם יָשַׁבְתִּי** هناك جلست.

٢- أن تسبق بمفعول مطلق **אָמְנָם יָדַעְתִּי אֶת חַדְבָּד** حقًّا علمتُ الأمرَ[٧٥].

وفي الواقع أن هذه التراكيب لا تعني ابتداء الجملة الفعلية بالفعل، فمع تأخر الفاعل إلّا أنّها ابتدأت باسم أيضاً، وإذا كان هذا النمط هو السائد في العبرية فهي تخالف العربية بذلك من غير شكّ، وبالمقابل ترى سحر عقاد أن الجملة الفعلية العبرية تناظر العربية، وذلك في النصوص التي جاءت بها، وهي نصوص عبرية ابتدأت بفعل من غير سابقة من السوابق التي ذكرها سيد فرج راشد، ومن هذه النصوص: **וַיְשַׁלְּחֵהוּ יְהוָה אֱלֹהִים מִגַּן עֵדֶן**، فأخرجه الربّ الإله من جنّة عدن، وكذلك: **וַיִּאֶלַּד אֱלֹהִים יְהִי רְאֹדָה בִּרְקִיעַ הַשָּׁמַיִם לְהַבְדִּיל בֵּיוֹהַיּוֹמָהבַּיִן**، وقال الله لتكن أنواراً في جلد السماء[٧٦]، فإذا جمعنا

(٧٤) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٦.

(٧٥) ينظر: اللغة العبرية قواعد ونصوص: ٢٥٦.

(٧٦) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥١.

بين الرأيين وصحّ الرأيُ الثاني فلا نجد أن هناك اختلافاً جوهريًّا في مقارنة الجملة الفعلية العبرية بالعربية، إلّا أنني لم أكتفِ بذلك، فقد تتبعت مجموعة من النصوص العبرية المترجمة ترجمةً حرفيةً عن طريق نصّ في خمس صفحات، فاستقريت الجمل ووجدت أنّها لم تبدأ بالفعل مباشرة، بل سبقتها سابقة اسمية أو حرفية، وربما جملة: **הַאִם בָּא לְךָ בַּחַיִּים אֵינָהּ דָּבָר** وتعني: هل عرض لك في الحياة أيُّ أمر؟ هي الجملة الوحيدة التي سُبق فعلُها بحرف استفهام، لذا فهي تعد جملة فعلية متصدرة بفعل(٧٧)، مع أن الفعل في الجملة سواء أمتصدراً كان أم متأخّراً، فالجملة فعليةٌ في قواعد اللغة العبرية، إذِ استُند إلى أنّ المسند إذا كان فعلاً فالجملة فعلية، تصدّر أو لم يتصدّر(٧٨).

إنّ للجملة الفعلية العبرية مزيةً في بعض التراكيب التي تختلف عن العربية في تكوينها، وأهمّ هذه التراكيب قولهم في العبرية: **וַיַּרְא אִישׁ מִצְרִי מַכֶּה**، وترجمتها: فرأى رجلاً مصريًّا يَضْرِب، وترجمتها الحرفية: فرأى رجلاً مصريّا (ضارب)(٧٩)، فناب اسم الفاعل مناب الفعل، إذ إنّ هذه اللغات تعامل اسم الفاعل معاملة الفعل في التركيب(٨٠)، وهذا ما اصطلح عليه الكوفيّون قديماً بالفعل الدائم(٨١).

ومن التراكيب المختلفة دخول ما يسمى بواو القلب على الفعل، فهي تقلب زمن الفعل من الماضي إلى المستقبل، فيقال في العبرية: **אִם לֹא אֹבַל וְאֶחְבּוֹ**، وترجمته الحرفية: ولم نأكل سنموت، وتعني: إن لم نأكل

(٧٧) ينظر: محمد توفيق الصواف، اللغة العبرية: ١٩٥-١٩٩.

(٧٨) ينظر: في النحو المقارن بين العربية والعبرية: ١٦٧.

(٧٩) ينظر: في قواعد الساميات: ١٠٤.

(٨٠) ينظر: في قواعد الساميات: ١٦٣.

(٨١) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة: ٤٦٣.

سنموت[٨٢]، كما أنّها تقلب زمن الجملة من المستقبل إلى الماضي، يقال: **וְכֵן יַעֲשֶׂה בְּשָׁנָה**، وترجمتها: وهكذا يفعل سنة وراء سنة، أي: كان يفعل هذا سنة بعد سنة[٨٣].

ومن التراكيب العبرية المختلفة عن العربية وجود ضمير النصب المنفصل متأخّراً عن فعله مع عدم اتصاله، وهذا ما لا يجوز في العربية، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، فلا يجوز تأخير الضمير وإلّا اتصل بالفعل[٨٤]، جاء في العبرية: **אֵין אֲנִי מַכִּיר אוֹתוֹ**، وترجمته: أنا لا أعرف إيّاه، أي: أنا لا أعرفه[٨٥]، وكذلك تراكيب تختلف عن العربية منها تعدي الفعل اللازم بنفسه، وكان حقه أن يدخل حرف الجرّ على معموله، ولا تقبل الجملة دلاليًّا بدونه، يقال في العبرية: **הָלַכְתִּי תְּעִירָה**، أي: ذهبتُ المدينةَ، وتعني: ذهبت إلى المدينة[٨٦]، ومن هذه التراكيب المختلفة كثيرٌ جدًّا، ولو أنّ الدراسات النحوية المقارنة قد ترجمت النصوص ترجمة حرفية لاستطعنا أن نجد تغييرات وتباينات كثيرة جدًّا، الأمر الذي ينفعنا في القياس حول طريقة التفكير النحوي العربي، وسوف نجد في أثنائها مسوغات كثيرة لمواطن التأويل والتقدير التي وصفها النحويّون الأوائل، ومن هذه التأويلات الخبر المقدر بـ(كائن أو مستقر)، وهو لا يحذف في الأكادية، والضمير المستتر المتعلق بالخبر العائد على المبتدأ في الحبشية، وغيرها كثير.

أما الجملة الفعلية في الكنعانية فلم تختلف عن صور سابقاتها كثيراً،

(٨٢) مدخل إلى النحو العبري: ٦١.
(٨٣) عوني عبد الرؤوف، قواعد اللغة العبرية: ٢١٥.
(٨٤) ينظر: جامع الدروس العربية: ١/ ١٢١.
(٨٥) ينظر: محمد توفيق الصواف، اللغة العبرية: ١٩٦.
(٨٦) ينظر: دروس في اللغة العبرية: ١١٢.

بيد أن الدراسات التي تناولت الكنعانية ولهجتيها الفينيقية والأوغاريتية وصفت الجملة الفعلية بأنّها التي يتصدرها الفعل، مع إيراد شواهد تبدأ بفعل صريح غير مسبوق بشيء(٨٧)، كما أنّ هناك رأياً يذكر أن الجملة الفعلية الأوغاريتية لا تختلف عن نظام الجملة العربية(٨٨)، وفي الواقع لا أجد هذا الكلام دقيقاً فهناك تراكيب تختلف عمّا في العربية، ولاسيّما أنّ الأوغاريتية تحتوي على واو القلب التي في العبرية(٨٩)، وكذلك تراكيب موجودة في العربية منها: جزم الفعل بلام الأمر المحذوفة، كما في: ymġiqrt ȧblm، وترجمتها: ليتقدم إلى القرية، ولكن من غير اللام، ومن هذه التراكيب أيضاً: l tŝrgn ybtltmȧ وهي تعني: لا تكذبي أيَّتُها البتول، وترجمتها الحرفية: لا تكذبِنْ يا بتول، فالفعل (تكذبين) قد دخلت عليه (لا) الناهية، وهذا ما يُجزَم في العربية فتُحذَف النون، إلّا أنّ الأوغاريتية لم تحذف النون، وليس هذا فحسب بل حذفت الضمير (الياء) من الفعل، وأبقت على النون، التي قد تكون نونَ التوكيد، وهذا التركيب يختصّ بالأوغاريتية دون سائر أخواتها من اللغات(٩٠)، ولا أستبعد أن تكون هناك تراكيب كثيرة تختلف فيها الكنعانية ولهجاتها عن باقي اللغات، فهي تحتاج إلى استقراء دقيق ومكثّف للوقوف على مواطن التشابه والاختلاف.

أمّا في العربية الجنوبية فلم أعثر على مبحث أو دراسة واضحة تتناول نظام الجملة الفعلية فيها؛ والسبب في ذلك أنّ هذه اللغات لم تُقرأ نصوصُها وكتاباتها

(٨٧) ينظر: المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية: ٣٣ - ٣٤، واللغة الفينيقية البونية دراسة مقارنة مع اللغات الشرقية القديمة (أطروحة دكتوراه): ١١٥.

(٨٨) ينظر: ظاهرة الإعراب في اللغات السامية (رسالة ماجستير): ٥٠.

(٨٩) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٦.

(٩٠) ينظر: نظام الجملة في اللغات السامية (أطروحة دكتوراه): ٢٧.

ونقوشُها قراءة واضحة، فما زالت القراءة لرموزها قراءة غير مكتملة، ونصوصها غير واضحة المعالم(٩١)، إلّا أنّني حاولت أن أجد شيئاً في بعض الدراسات، فقد ذُكرَ أنّ الجملة الفعلية في القَتبانية المتصدرة بفعل مضارع يمكن دخول حرف الجر عليها، مع افتقار الأفعال الخمسة للنون في الآخر، وهي تُعدّ علامة إعرابية عند علماء العربية، كما أن الجمل الفعلية قد استعملت نظاماً واحداً وهو للدلالة على الغائب، الأمر الذي جعل الدارسين يعتقدون أن العرب الجنوبيين قد كانوا يؤلفون كلامهم أو يتحدثون عن شيء بصيغة الغائب، سواء أمخاطَباً كان أم متكلِّماً، إذ لم يعثر إلى الآن على جملة أو نصّ يحتوي على ضمير متكلّم قطّ(٩٢)، ولربما يسأل سائلٌ: أليست العربية الجنوبية امتداداً للشمالية، أو هي لهجة من لهجاتها؟ في الحقيقة ربما يكون التشابه موجوداً بين الجنوبيين والشماليين، إلّا أن هناك من يرى أن الشماليين على النقيض من الجنوبيين، على اعتبار أن الشماليين لهم امتداد وروابط فكرية وثقافية واجتماعية لها أصول وجذور في وادي الرافدين، وأن الجنوبيين تميل صفاتهم إلى الأحباش(٩٣)، الأمر الذي جعل ذلك التباين اللغوي بين عرب الشمال والجنوب.

ورد في العربية الجنوبية أن الفعل يأتي في المقام الثاني من الجملة، إذ يتقدم عليه إمّا الفاعل أو عبارة مضافة، وإذا ما تأخر الفاعل فإنّه يأتي في المرتبة الأخيرة، كما يورد بيستون بعض الجمل التي لا تختلف كثيراً مع نظام الجملة العربية الشمالية(٩٤).

---

(٩١) ينظر: ملامح في فقه اللهجات العربيات: ٣٤٥.

(٩٢) ينظر: الخصائص الكتابية واللغوية للكتابة العربية الجنوبية والشمالية: ٤٢٩ - ٤٣٢، اعتُمدت هذه القواعد على مجموعة جُمل أُخذت من نقش: عجل بن هفعم، في المصدر نفسه ص ٤٢٨.

(٩٣) ينظر: محاضرات من تاريخ اليمن: ٨٥.

(٩٤) ينظر: قواعد العربية الجنوبية: ١٢٦.

أمّا اللغة الحبشية (الإرترية) فقد شحّت مصادر الحديث عن الجملة الفعلية فيها، بيد أن الشيخ سليم البشري قد ذكر أنّ هناك اختلافات كثيرة بين التراكيب الحبشية مقارنةً بأخواتها من اللغات[٩٥]، وهذا ما تناوله إدريس محمود من خلال المقارنة في بعض التراكيب، فقد ذكر أنّ الجملة الفعلية الإرترية تتكون من فعل وفاعل ومفعول أو مفعولين، وقد يتقدم الفاعل على الفعل، وقد يُحذف، وقد يتقدم المفعول لأغراض دلالية وبلاغية[٩٦]، كما ذكر أيضاً أن هناك تراكيب تختلف عن العربية في تكوينها، منها: särhahu Srǥ:LB't: läbet، وترجمتها الحرفية: بناه للبيت، التي تعني في العربية: بنى البيتَ[٩٧]، مع أنّ هذا التركيب لم يرد في العربية الفصحى إلّا أنّ اللهجة العراقية البغدادية تستعمل تركيباً قريباً من ذلك، فيقال: بنى للبيت، ولا أعلم إلى أيّ مدى يكون اتصال هذين التركيبين اللذين ربما يكون لهما أصل سومري أو أكادي أو بابلي قديم، ولا سيّما أن الجعزية والتجرية استعملتا أداةً لنفي الماضي والمضارع وهي (la') شبيهة الـ(ul) الأكادية التي تعني (لا) في العربية، فهي تدخل على اللفظة (akko')، وحين تركيبها تكون (alko')، وتعني: ما كان، وهو اللفظ المشابه للكلمة العراقية: ماكو، وإثباتها: أكو، وتعني: يوجد[٩٨]، والمعلوم أنّ هذا التركيب لا يستعمله غير العراقيين.

ومن التراكيب التي تختلف عن العربية، يقال في التجريَّة: mn:'Äl:، وترجمته: من متى قاتل، وتعني: منذ متى قاتل[٩٩]، فاستعملت التجرية

(٩٥) ينظر: جواهر الحسان في تاريخ الحبشان: ٦٧.

(٩٦) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٥٠١.

(٩٧) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٥٠١.

(٩٨) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٤٩٥ و٤٩٨.

(٩٩) ينظر: اللغة العربية وعلاقتها باللغات الإرترية: ٤٧٦.

محلَّ (منذ)، وهذا الاستعمال موجود الآن في العربيات الدارجة، وربما يكون هذا ترخيماً، على اعتبار أنّ (منذُ) مركبة من (من، وذو)[١٠٠]، فإن كان كذلك فلا اختلاف في التركيب آنذاك.

ومن ظواهر الجمل الفعلية في اللغات السامية ما يسمى بـ(لغة أكلوني البراغيث)، وهذه جملة أوردها سيبويه في بداية كتابه[١٠١]، ومفادها أن الفعل قد أُسند إليه فاعلان أحدهما مضمر والآخر ظاهر، وهذا ما لا يجوز معياريًّا على وفق القواعد النحوية[١٠٢]، وقد وُجّه هذا التركيب بثلاثة أوجه، الأول أن الضمير فاعل والظاهر مبدل منه، والثاني أن الواو علامة دالّة على الجمع ولا فاعل ثانياً في الجملة، والثالث أن الظاهر مبتدأ مؤخر خبره الجملة الفعلية المتقدمة[١٠٣]، والمعلوم أن هذا التركيب قد ورد في جميع أخوات العربية[١٠٤]، كما أنّ هذا التركيب قد ورد في القرآن الكريم والشعر والنثر العربي، وفي الواقع أنّ الدراسات المقارنة أوردت أمثلة كثيرة عن هذا التركيب في معظم الكتب، ولا أجد أنّ هذه الظاهرةَ نادرةٌ أو تختصّ بها لغة دون أخرى، زد على ذلك أنّ العربية لم تغادرها، لاسيّما في الوقت الحاضر وفي اللغة الدارجة، فلا داعي لذكر المقارنات والنصوص التي تختصّ بهذا التركيب[*].

* * *

(١٠٠) ينظر: الجنى الداني: ٥٠١.

(١٠١) ينظر: الكتاب: ١/ ١٩.

(١٠٢) ينظر: آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث: ٣٩.

(١٠٣) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢/ ٨٥.

(١٠٤) ينظر: السريانية العربية الجذور والامتداد: ٨٩.

(*) للاطلاع على هذا التركيب ومتعلقاته، ينظر: آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث للدكتور خليل أحمد عمايرة، والإسناد في لغة أكلوني البراغيث لعبد الحميد الأقطش.

المصادر والمراجع

- آراء في الضمير العائد ولغة أكلوني البراغيث - د.خليل أحمد عمايرة - دار البشير للنشر والتوزيع - ط١ - ١٩٨٩م.
- آرامية الحضر بحث لغوي مقارن - يعقوب حنّا - دار المعارف - ط١ - حمص ٢٠٠٦م.
- آرامية العهد القديم قواعد ونصوص - د.يوسف متي قوزي ومحمد كامل روكان - منشورات المجمع العلمي - مطبعة المجمع العلمي العراقي - بغداد ٢٠٠٦م.
- الأصول الجلية في نحو اللغة الآرامية - المطران يعقوب أوجين منّا - منشورات مركز بابل - بيروت ١٩٧٥م.
- أوزان الفعل وصيغه في الحظرية - د.خالد إسماعيل علي - بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي - العدد الخاص بهيئة اللغة السريانية - المجلد الرابع عشر - بغداد ١٩٩٣م.
- بحوث في الاستشراق واللغة - د.إسماعيل أحمد عمايرة - مؤسسة الرسالة بيروت ودار البشير عمّان - ط١ - ١٩٩٦م.
- بناء الجملة الاسمية في كتابات الحضر - بهاء عامر الجبوري - بحث منشور في مجلة سومر - الجزء الأول والثاني - المجلد الثاني والخمسون - ٢٠٠٣-٢٠٠٤م.
- جامع الدروس العربية - الشيخ مصطفى الغلاييني - راجعه وصححه د.عبد المنعم خفاجة - المكتبة العصرية للطباعة والنشر - ط٢٨- بيروت ١٩٩٣م.

- الجنى الداني في حروف المعاني – الحسن بن قاسم المرادي (٧٤٩ هـ) – تحقيق د.فخر الدين قباوة، وأ.محمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – ط-١- بيروت ١٩٩٨م.
- الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان – أحمد الحفني القنائي – المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – ط١ – مصر ١٣٢١هـ.
- الخصائص الكتابية واللغوية للكتابة العربية الجنوبية والشمالية – هاشم طه رحيم ونهاد حسن حجي – بحث مقدم لمجلة آداب الكوفة – العدد الخامس ٢٠٠٧م.
- دراسات لغوية مقارنة بين اللغة العربية والأوغاريتية في ضوء اللغات السامية – رسالة ماجستير – سميرة الراهب – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق ١٩٩٠م.
- دروس في اللغة العبرية – ربحي كمال – مطبعة جامعة دمشق – ط٣ – دمشق ١٩٦٣م.
- السريانية ــ العربية الجذور والامتداد – سمير عبده – منشورات دار علاء الدين – دمشق.
- السريانية نحوها وصرفها – د.زاكية محمد رشدي – دار الثقافة للطباعة والنشر – ط٢ – القاهرة ١٩٧٨م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – ابن عقيل العقيلي المصري (٧٦٩هـ) – تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – دار التراث – ط٢٠– القاهرة ١٩٨٠م.
- الصابئة المنداعيون – الليدي دراوور – ترجمة نعيم بدوي وغضبان الرومي – دار المدى للثقافة والنشر – ط٢ – بغداد ٢٠٠٦م.

- الصاحبي في فقه اللغة - أبو الحسن أحمد بن فارس (٣٩٥هـ)- تحقيق السيد أحمد صقر - مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربية.
- الصلاة المندائية وبعض الطقوس الدينية - الشيخ رافد الشيخ عبد الله نجم - شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة - ط١ - بغداد ١٩٨٨م.
- طوفان نوح الاكتشافات العلمية الحديثة - وليم ريان ، و والتر بتمان - ترجمة فارس بطرس - إشراف ومراجعة الأب د. يوسف توما - نشر مجلة الفكر المسيحي وبيت الحكمة ودار البستان للصحافة والنشر - بغداد ٢٠٠٥م.
- ظاهرة الإعراب في اللغات السامية - رسالة ماجستير - سحر لطفي - جامعة حلب - كلية العلوم - قسم اللغة العربية - ١٩٩٠م.
- غرامطيق اللغة الآرامية السريانية (صرف ونحو) - القس بولس الكفرنيسي - مطبعة الجهاد - بيروت ١٩٩٢م.
- في قواعد الساميات العبرية والسريانية والحبشية مع النصوص والمقارنات - د.رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجي بمصر - القاهرة ١٩٨١م.
- في النحو العربي نقد وتوجيه - د. مهدي المخزومي - دار الشؤون الثقافية - ط٢- بغداد ٢٠٠٥م.
- في النحو المقارن بين العربية والعبرية - د.سيد سليمان عليّان - الدار الثقافية للنشر - القاهرة.
- قواعد العربية الجنوبية - ف.ل.بيستون - ترجمة خالد إسماعيل - مطبوعات المجمع العلمي العراقي - ١٩٩٢م.
- قواعد اللغة الأكدية - د. فوزي رشيد - دار صفحات للنشر - ط١ - دمشق ٢٠٠٩م.

- قواعد اللغة السومرية – د. فوزي رشيد – دار صفحات للنشر – ط١ – دمشق ٢٠٠٩م.
- قواعد اللغة العبرية ، دراسات سامية – د. عوني عبد الرؤوف – مطبعة جامعة عين شمس – مصر ١٩٧١م.
- كتاب سيبويه – أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(١٨٠هـ) – تحقيق عبد السلام محمد هارون – مكتبة الخانجي – ط٣– القاهرة ١٩٨٨م.
- الكنز الثمين في قواعد اللغة العبرية – أحمد فؤاد – مركز الراية للنشر والإعلام – ط١ – الإسكندرية ٢٠٠٠م.
- اللباب في اللغة الآرامية السريانية الكلدانية – الأب جبرائيل القرداحي الحلبي – المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين – بيروت ١٨٩١م.
- اللغة الأكدية البابلية ــ الآشورية تاريخها وتدوينها وقواعدها – د.عامر سليمان – الدار العربية للموسوعات – ط٢ – بيروت٢٠٠٥م.
- اللغة العبرية – محمد توفيق الصواف – منشورات جامعة دمشق كلية الآداب – دمشق ٢٠٠٥م.
- اللغة العبرية قواعد ونصوص – د. سيد فرج راشد – دار المريخ للنشر – الرياض ١٩٩٣م.
- اللغة العربية وعلاقتها باللغة الإرترية (الجعزية والتجريّة والتجرنيّة) الجذور والامتداد – إدريس محمود حامد موشي – منشورات كلية الدعوة الإسلامية – ط١ – طرابلس ٢٠٠٥م.
- اللغة الفينيقية البونية دراسة مقارنة مع اللغات الشرقية القديمة – أطروحة دكتوراه – إياد عبد الله يونس – جامعة محمد الخامس أكدال – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – شعبة التاريخ – الرباط ٢٠٠٧م.

- اللغة الكنعانية دراسة صوتية صرفية دلالية مقارنة في ضوء اللغات السامية - د.يحيى عبابنة - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع - ط١ - عمّان ٢٠٠٣م.
- اللُّمعة الشهية في نحو اللغة السريانية على مذهبي الغربيين والشرقيين ، تطبيق اللغات السريانية على اللغات العبرانية والعربية والبابلية - المطران إقليمس يوسف داوود الموصلي - طبع في دير الآباء الدومنكيين - الموصل ١٨٧٩م.
- المدخل إلى اللغة الآرامية - محمد محفّل - منشورات جامعة دمشق - ط٨ - دمشق ٢٠٠٢م.
- مدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية - الدكتور أحمد حامدة - طبع ونشر على نفقة جامعة دمشق - دمشق.
- مدخل إلى النحو العبري - فؤاد سليم أبو زريق - المعهد العسكري للغات الأجنبية - ليبيا ١٩٩٤م.
- مذكرات في قواعد الآرامية التدمرية بحث لغوي مقارن - يعقوب حنّا - دار المعارف - ط١ - حمص ٢٠٠٦م.
- المفصل في صنعة الإعراب - أبو القاسم جار الله الزمخشري (٥٣٨هـ)- تقديم أميل بديع يعقوب - دار الكتب العلمية - ط١ - بيروت ١٩٩٩م.
- المقتضب - أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (٢٨٥هـ) - تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٩٤م.
- مقدمة في علم الأكاديات ودور العرب فيه - د. فيصل عبد الله - الأبجدية للنشر - ط١ - دمشق ١٩٩٠م.
- ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية - د.محمد بهجت القيسي - دار شَمْأَل - دمشق - ط٢ - ٢٠٠٠م.

- المناهج في النحو والمعاني عند السريان – الأباتي جبرائيل القرداحي – تقديم ونشر الأب جوزيف شابو – دار المكتبة السريانية – ط٣ – حلب ٢٠٠٨م.
- نظام الجملة في اللغات السامية – أطروحة دكتوراه – سحر لطفي عقاد – جامعة حلب – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية – ٢٠٠٢م.
- النكهة البهية في قواعد ونحو اللغة السريانية – جوزيف أسمر ملكي – مطبعة اليمامة وموريات للطباعة – القامشلي ٢٠٠٢م.
- الواقع اللغوي العربي القديم – إعداد د. عبد الجبار ناجي – منشورات بيت الحكمة – بغداد ٢٠٠٦م.

* * *